نموذج التربية الحماسية وإعادة بناء هوية المرأة المسلمة

في سيرة وآثار الشهيدة بنت الهدى الصدر رحمة الله عليهما

• د. مهدي حسين بور، زهراء مصطفوي[1]

الملخّص

تُعدُّ أزمة هوية المرأة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة نتاجًا للصراع المستنزف بين تيارين اختزاليين: التحجر التقليدي والاستلاب الحداثي، مما أفضى إلى سلب قدرة المرأة المسلمة على الفاعلية وعزلها عن دورها الرسالي. تسعى الدراسة الحالية إلى تقديم حل جذري للخروج من هذا المأزق الهوياتي عبر استقراء واستخراج نموذج التربية الحماسية في فكر ومجاهدات الشهيدة بنت الهدى الصدر. ويتمحور السؤال الرئيس للبحث حول كيفية تحقيق مكونات التربية الحماسية في مدرسة الصدر لعملية إعادة بناء هوية المرأة، وتحويلها من كائنًا متلقيًا منفعلاً إلى عنصر فاعل ومنطلق من الشعور بالمسؤولية الرسالية. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي مع استخدام رؤية تحليل المضمون لدراسة الآثار القصصية والمقالات والسيرة العملية للشهيدة دراسةً منظمة. وتُشير نتائج البحث إلى أنّ نموذج التربية الحماسية عند بنت الهدى يقوم على ثلاث طبقات متداخلة: ١. **الطبقة الكلامية (الأنثروبولوجيا الاستخلاف):** والتي تضع عزة النفس الوجودية ركيزةً لهوية المرأة من خلال إعادة قراءة مقام الاستخلاف الإلهي. ٢. **الطبقة المعرفية (الوعي الاستراتيجي):** التي تعمل عبر تعزيز البصيرة النقدية على إيجاد سد منيع أمام الهيمنة الثقافية الغربية. ٣. **الطبقة السوسيولوجية (المقاومة الرسالية):** التي تربط بين الأدوار الأسرية والجهاد الحماسي، محوّلةً الحضور الاجتماعي للمرأة إلى أداة لتغيير موازين القوى الحضارية. تخلص نتائج الدراسة إلى أنّ الشهيدة بنت الهدى، باستثمارها للطاقات الأدبية والإدارة التربوية المواجهة، استطاعت الارتقاء بهوية المرأة من حالة الدفاع إلى حالة التأثير والإلهام، وهو ما تجلى في غايته القصوى عبر أطروحة التضحية الواعية. يقدم هذا النموذج، أبعد من كونه تجربة تاريخية، دستورًا تربويًا معاصرًا لصون هوية وفاعلية المرأة المسلمة في مواجهة الغزو المعرفي وأزمات الهوية في العصر الراهن.

الكلمات المفتاحية: التربية الحماسية، الشهيدة بنت الهدى الصدر، إعادة بناء الهوية، فاعلية المرأة المسلمة، مدرسة الصدر.

---

١. د. مهدي حسين بور، كلية الإذاعة والتلفزيون، قم المقدسة. البريد الإلكتروني:
زهراء مصطفوي، ماجستير في العلوم التربوية، جامعة قم المقدسة. البريد الإلكتروني:
.

المقدّمة

أضحت هوية المرأة في العالم المعاصر واحدةً من أكثر المجالات إثارةً للجدل في نطاق الدراسات الثقافية والسوسيولوجيا السياسية؛ إذ إنه ومع أفول الميتافيزيقا التقليدية وهيمنة الحداثة المادية المطلقة، تعرض تعريف المرأة لعملية استحالة جوهرية. ففي خضم هذا التحول، استُلب دور المرأة بوصفها ذاتًا عارفة وكائنًا رساليًا يبتغي الكمال الوجودي، لتُختزل إلى مجرد موضوع استهلاكي ضمن تروس النظام الرأسمالي. وفي ظل هذا النظام، لم تُعرَّف الحرية بوصفها استقلالاً للإرادة، بل تجلت في صورة انعتاقٍ زائف يهدف إلى الاستهلاك في واجهات العرض الجندرية.

بيد أنّ أزمة الهوية هذه برزت في العالم الإسلامي بتعقيدٍ مضاعف؛ حيث وجدت المرأة المسلمة نفسها محاصرةً بين حدّي مقصلة معرفية: فمن جهة، برز التحجر التقليدي بقراءاته الساكنة المتمحورة حول الرجل، مصورًا الدين حجابًا للانزواء وسلبًا للمسؤوليات الاجتماعية الكبرى. ومن جهة أخرى، طرحت الحداثة الغازية مسار التمدن الوحيد عبر الانقطاع عن الأصالة الوحيانية والاستحالة في النماذج الغربية.

وفي الفراغ الناجم عن هاتين القراءتين العقيمتين، برزت الحاجة الحضارية لـ برادايم ثالث أكثر من أي وقت مضى؛ نموذجٍ يمتلك القدرة على إيجاد رابطة عضوية وديالكتيكية بين الأصالة الوحيانية والفاعلية الحديثة. إنّ هذا البرادايم يتجاوز حدود المواعظ الأخلاقية المجردة، ساعيًا نحو تكوين ذات حماسية؛ إنسانًا لا يبقى خاضعًا ومنفعلاً أمام التقاليد المزيفة، ولا يصيبه الرعب أو الشعور بالدونية أمام بهرج الحداثة العلمانية.

وفي التاريخ الفكري والسياسي للإسلام المعاصر، تمثل مدرسة الشهيدة بنت الهدى الصدر آمنة الصدر التربوية تلك النقطة المفصلية والمنعطف الذهبي الذي تتحد فيه النظرية مع الفعل الحماسي. فهي لم تكن مجرد فقيهة وأديبة وناشطة سياسية، بل أسست بصفتها منظرةً ميدانية لنموذجٍ يمكن قراءته تحت عنوان التربية الحماسية.

إن التربية الحماسية في رؤية بنت الهدى الصدر هي سيرورةٌ تُعاد من خلالها صياغة هوية المرأة المسلمة استنادًا إلى ثلاث ركائز بنيوية:

أولاً: الوعي أو الإدراك الاستراتيجي[1]، والذي يعني الفهم العميق للمكانة التاريخية والسياسية للمرأة في الصراع بين الحق والباطل.

---

١. آمنة الصدر، دورنا مع المرأة المسلمة، ص ٤٥.

ثانيًا: العزة أو الصلابة الهوياتية[1]، وهي الركيزة التي تمنع ذوبان شخصية المرأة في الثقافة الأجنبية.

ثالثًا: المسؤولية الحضارية [2]، التي تدفع بالمرأة من دائرة الفردانية الضيقة إلى رحاب صناعة الأمة وبناء الحضارة.

تكمن أهمية دراسة سيرتها وآثارها في كونها لم تكتفِ بنقد النماذج المنافسة فحسب، بل قدمت عقيدة عملياتية لإعادة بناء هوية المرأة، وذلك من خلال الإدارة الممنهجة لـ مدارس الزهراء٣، وإبداع الأدب القصصي ذي الوظيفة الإحيائية، والنشاط البطولي في مواجهة نظام البعث السفاك. لقد أثبتت عمليًا أن المرأة يمكنها التصدر في قلب التحولات السياسية، والتحطيم الهيكلي للأنماط الاجتماعية السائدة، الفاعلية الحماسية دون الخروج من الحصن الحصين لعفافها وهويتها الرسالية.

يسعى البحث الحالي إلى تبيين حقيقة كيف استطاعت الشهيدة بنت الهدى، مستلهمةً من الأسس الكلامية لمدرسة الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ـ ولا سيما نظرية استخلاف الإنسان التي ترى الإنسان خليفة اللّه في الأرض وصاحب إرادة تحررية ـ أن تضع وصفةً شافية لأزمة هوية المرأة المسلمة. إنّ المسألة المركزية في هذا التحقيق تكمن في التشريح الدقيق لهذا النظام التربوي وتتبع تجلياته في نتاجها الأدبي وسيرتها العملية. تنبع ضرورة هذا المشروع من حاجة الجيل المعاصر من النساء المسلمات، وسط الحرب الناعمة وضجيج الوسائل الإعلامية المعادية للقيم، إلى نموذجٍ جامع الأطراف، يُعاد فيه تعريف الإيمان لا بوصفه أداةً للتخدير، بل بوصفه قوةً محركة للتغييرات الاجتماعية الجذريّة والمقاومة في وجه الطواغيت.

لقد أثبتت الشهيدة بنت الهدى بدمائها الزاكية أن للتربية الحماسية غايةً تتجاوز التعليم الكلاسيكي؛ ألا وهي إيصال الإنسان إلى مقامٍ تتصل فيه الكلمة بالدم لصيانة كيان الأمة. ويحاول هذا البحث، عبر الاستناد إلى الوثائق والمصادر الأصيلة، تبيين نموذج المرأة الرسالية بوصفه السبيل الوحيد للخروج من مآزق الهوية المعاصرة، ورسم الآفاق الجديدة لهذه المدرسة التربوية للمخاطب النخبوي اليوم. إنّ هدفنا في الواقع هو العبور من مجرد التقرير التاريخي وصولاً إلى نموذج صانع للحضارة بإمكانه خلق خطاب مضاد وقوي في مواجهة التيارات النسوية العلمانية والتيارات السلفية المتحجرة على المستوى العالمي.

---

١. محمد رضا النعماني، الشهيدة بنت الهدى: سيرتها ومسيرتها، ص ٨٢.

٢. معصومه صابري، تبيين رسالة المرأة الحوزوية في فكر وسيرة الشهيدة بنت الهدى الصدر، ص ٨١.

تبيين المسألة والإطار المنهجي

أضحت هوية المرأة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ولا سيما في الجغرافيا الفكرية للشرق الأوسط، ساحةً لصراع برادايمي بين نموذجين متنافسين بيد أنهما قاصران، إذ يفضي كلاهما في نهاية المطاف إلى حالة من انفعال المرأة وسلبيتها. يتمثل النموذج الأول في نتاج التحجر والجمود الفكري؛ وهو تيار يتبنى قراءات إخبارية وقشرية للنصوص الدينية، مما حصر المرأة في هامش التحوّلات التاريخية، وحبسها داخل أسوار التقاليد القبلية بعد سلبها عنصري الوعي والفاعلية. لقد عاق هذا النموذج المرأة عمليًا عن أداء دورها الرسالي، محوّلاً الدين إلى عامل من عوامل الركود والجمود. وفي المقابل، يبرز النموذج الثاني بوصفه نتاجًا لـ الغزو الثقافي وهيمنة الليبرالية، حيث ضحّى بالهوية الأصيلة للمرأة في مسلخ الاستهلاكية والتسليع تحت شعارات براقة كالحرية والمساواة[1]. ولم يؤدِّ هذا الشرخ الهوياتي إلى تفاقم أزمة المعنى فحسب، بل أدى إلى ظهور جيل من النساء اللواتي، رغم امتلاكهن للمعارف الصورية والشهادات الجامعية، يعانين من انفعالٍ بنيويٍّ وعجزٍ عن الفعل في المنعطفات التاريخية والسياسية الحاسمة.

وفي ظل هذا السياق المتأزم، تبدو إعادة قراءة السيرة والمنظومة الفكرية للشهيدة بنت الهدى الصدر ضرورةً حضارية ملحّة. وتتمثل المسألة الجوهرية في كيفية تمكّن الشهيدة بنت الهدى، في ظل أجواء الاختناق والترهيب التي فرضها نظام البعث، وفي ذروة نفوذ الأفكار الإلحادية والماركسية والشيوعية التي خيَّمت على الجامعات العراقية في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، من صياغة نموذج لـ التربية الحماسية لم يفضِ إلى اليقظة السياسية فحسب، بل أعاد بناء ركائز هوية المرأة المسلمة من الداخل؟[2] لقد توصّلت الشهيدة، بعبقرية استلهمت من مدرسة أخيها الإمام الشهيد الصدر، إلى إدراك استراتيجي مفاده أن أي تغيير هيكلي أو اجتماعي في جسد الأمة لن يتحقق ما لم يسبقه تغيير أنفُسي في كيان المرأة بوصفها المربيّ الأول للمجتمع. وبناءً على ذلك، أرست دعائم أنشطتها على محور استنهاض الوعي الاستراتيجي لتعيد المرأة من موقعها الهامشي إلى متن الصراع الحضاري.

إنّ التحدي الأساسي الذي يسعى هذا البحث للإجابة عنه هو استخراج وصياغة مؤلفات هذا النظام التربوي الحديث بدقة؛ إذ لا تمثل سيرة الشهيدة بنت الهدى مجرد تقرير تاريخي عن شجاعة امرأة في وجه الطاغوت، بل تنطوي على منطق منهجي منسجم في فضاء التبليغ وإحياء الدين في

---

١. ماجدة المؤمن، الشهيدة بنت الهدى الواقع والآمال، ص ٣.

٢. أزهار جبر هادي، بنت الهدى نشأتها ورؤاها الإصلاحية والسياسية، ص ٤.

العصر الحديث[1]. لقد أوجد هذا المنطق المنهجي رابطًا عضويًا وحيًّا بين الاجتهاد الفقهي والفن الأدبي والمجاهدة الميدانية. فقد وظّفت بنت الهدى بذكاء متفرد قالب القصة والرواية بوصفه أداة إعلامية قوية لنقل مفاهيم التربية الحماسية التجريدية والمعقدة إلى المستويات التطبيقية والملموسة في الحياة اليومية. وبذلك، حوّلت المرأة المسلمة من عنصر منفعل ومشاهد إلى ذات فاعلة وواعية زلزلت بصلابتها أركان الجلادين حتى داخل زنازين النظام الاستبدادي[2].

وعليه، يهدف هذا البحث عبر تقصّي الوثائق التاريخية والمقالات والنصوص الأدبية التي خلّفتها، إلى تبيان كيف يمكن للـ التربية الحماسية أن تعمل بوصفها تكنولوجيا تربوية ناعمة. حيث تمتلك هذه التكنولوجيا القدرة على صيانة هوية المرأة المسلمة المعاصرة أمام الأمواج العاتية للاستحالة الثقافية، وإعدادها لتحمل المسؤوليات الكبرى في مسار إرساء قواعد الحضارة الإسلامية الحديثة ومواجهة النماذج المفروضة من الشرق والغرب[3].

الأهمية والضرورة

إن استقراء المنظومة التربوية للشهيدة بنت الهدى الصدر يتجاوز حدود الدراسات التاريخية التقليدية أو التكريم المعهود للشخصيات الدينية البارزة؛ بل هو سعيٌ دؤوب لاستكشاف برمجية هوياتية في عصرٍ تعصف به أزمات المعنى. ويمكن صياغة ضرورة هذا البحث ضمن ثلاث طبقات بنيوية: معرفية، واجتماعية، واستراتيجية، تُبين كل واحدة منها الوجاهة العلمية لهذا التحقيق في سبيل الخروج من المآزق المعاصرة.

أولاً: الضرورة المعرفية؛ الفراغ التنظيري في حقل دراسات المرأة

شهدت العقود الأخيرة نتاجًا معرفيًا في حقل دراسات المرأة تأرجح بوضوح بين قطبين: النسوية العلمانية برؤيتها الفردانية، والرؤى التقليدية الوصفية بمنزعها الهامشي. وتكمن أهمية هذا البحث في محاولته استنباط نظرية بديلة من صلب مدرسة الصدر؛ إذ تبرز الحاجة ملحةً لتبيان أنّ الإسلام لا يقف موقف الممانعة من الحضور الاجتماعي للمرأة فحسب، بل إنه ـ ومن خلال تقديم برادايم الاستخلاف ـ يُعرّف المرأة بوصفها ذاتًا رسالية في متن التاريخ، تتفوق إرادتها على إرادات القوى المادية[4].

---

١. معصومه صابري، تبيين رسالة المرأة الحوزوية مع نظرة إلى سيرة الشهيدة بنت الهدى الصدر، ص ٧٨.
٢. فاضل النوري، الشهيدة بنت الهدى؛ أساليب الدعوة وسر الانتصار، ص ٩.
٣. أحمدي بيغش، واكاوي شيوه‌هاى روشنگرانه بانو مجتهده امين وشهيده بنت‌الهدى صدر، ص ٢٢٣.
٤. آمنة الصدر، لقاءات من مدرستنا، ص ١٢.

إنّ عدم التبيين الدقيق لمؤلفات التربية الحماسية سيجعل الخطاب الإسلامي في حالة انفعال أمام الهجمات النظرية للمدارس المنافسة؛ ومن هنا تأتي الضرورة المعرفية لهذا التحقيق في توليد أدبيات علمية تهدف إلى إعادة بناء هوية المرأة وفق الأصالة الوحيانية والمقتضيات الزمكانية، لإثبات أنّ الدين هو المحرك الأساس للفاعلية الواعية وليس عائقًا دونها.

ثانيًا: الضرورة الاجتماعية؛ أزمة الهوية لدى الجيل الصاعد

نحن نعيش في عصرٍ تستهدف فيه أزمة المعنى وتشتّتُ الهوية الطبقات العميقة لمجتمع النساء المسلمات. وتنبع ضرورة هذا البحث من كون الجيل الجديد من المسلمات قد أصيب بنوع من الشعور بالإفراغ الحضاري والاغتراب، وذلك في خضم الحرب الناعمة والتمثيلات الإعلامية الغربية الاختزالية.

تكتسب ريادة بنت الهدى الصدر أهمية حيوية لكونها استطاعت تحويل عزة النفس الدينية إلى قوة فاعلة؛ وهي قوة لا تنبع من باب المناكفة للحداثة، بل من باب الاستغناء المعرفي. إنّ تبيين هذا النموذج يعد ضرورة قصوى اليوم لنكشف كيف يمكن إيجاد سنخية مستدامة وحيوية بين التحصيل العلمي العالي، والفن الأدبي، والحضور الفاعل في الميادين السياسية الحساسة، مع الحفاظ في الوقت ذاته على الحرم القدسي للمرأة. إنّ هذا البحث هو، في جوهره، استجابة علمية للحاجة الاجتماعية لنساءٍ يبحثن عن سبيلٍ لـ الوجود دون الذوبان في ثقافة الآخر[1].

ثالثًا: الضرورة الاستراتيجية؛ نموذج المقاومة في الحرب الإدراكية

على الأفق الحضاري، تبرز أهمية هذا البحث وضرورته في استخلاص نموذج عملياتي لمواجهة الحرب الإدراكية. فقد أثبتت الشهيدة بنت الهدى، بوصفها استراتيجية تربوية، أنّ التعليم والتربية يمكن أن يعمل كـ تكنولوجيا للقوة الناعمة.

تقتضي الضرورة أن نُحلل كيف تمكنت الشهيدة ـ بأقل الإمكانات وفي قلب أكثر سنوات القمع البعثي سوادًا ـ من تربية شبكة من النساء الواعيات والمنسجمات والمجاهدات اللواتي وضعن حجر الأساس لتحولات كبرى في العراق والعالم الإسلامي[2]. إنّ إعادة قراءة هذه التجربة تُعد ضرورة استراتيجية لصناع السياسات الثقافية والمديرين التربويين، ليدركوا كيفية الاستفادة من طاقة

---

١. محمد رضا النعماني، الشهيدة بنت الهدى: سيرتها ومسيرتها، ص ١٠٤.
٢. معصومه صابري، تبيين رسالة المرأة الحوزوية...، ص ٩٢.

التربية الحماسية في تحصين الهوية الوطنية والدينية ضد الاختراق الثقافي، وتجهيز المرأة المسلمة بوصفها الخندق الأول للمقاومة الحضارية.

وختامًا، فإن الأهمية القصوى لهذا البحث تكمن في إثبات أنّ الشهيدة بنت الهدى الصدر لم تكن استثناءً تاريخيًا منقطع النظير، بل كانت قاعدةً تربوية تخرجت في مدرسة الإمام الشهيد الصدر. إن ضرورة تبيين هذه القاعدة هي في واقع الأمر ضرورة العودة إلى الجذور التي يمكنها أن تُبقي أغصان الحضارة الإسلامية الحديثة خضراء ومقاومة في عصر التعقيدات الرقمية والاستحالة الهوياتية. يحاول هذا المقال، عبر تجاوزه لمرحلة الوصف، الوصول إلى التشخيص الاستراتيجي وتقديم نموذجٍ تكون فيه المرأة المسلمة ـ توازيًا مع الحفاظ على أصالتها ـ حاملةً للواء التغيير والإصلاح الاجتماعي.

منهجية البحث: استراتيجية تحليل المضمون ومنطق استنتاج نموذج التربية الحماسية

يُصنف البحث الحالي من حيث الهدف ضمن البحوث الأساسية-التطبيقية؛ إذ إنه يسعى من جهة إلى توسيع آفاق المعرفة في حقل التربية والتعليم الإسلامي جانب أساسي، ومن جهة أخرى يبتغي تقديم نموذج عملياتي لمعالجة أزمة هوية المرأة المعاصرة جانب تطبيقي. أما من حيث الطبيعة والمنهج، فتعد هذه الدراسة بحثًا وصفيًا-تحليليًا يتبنى المقاربة النوعية. ونظرًا لتعقيدات حقل الهوية وضرورة الكشف عن الطبقات المضمرة في سيرة شخصية فكرية فذة، فقد تم اعتماد استراتيجية تحليل المضمون لاستخراج الأنماط السلوكية والفكرية للشهيدة بنت الهدى الصدر وفق رؤية ظاهراتية.

١. عملية جمع البيانات: اعتبار المصادر والاستناد إلى النصوص التأسيسية

ترتكز عملية جمع البيانات في هذا البحث على منهج الدراسة المكتبية والوثائقية. وحيث إنّ القيمة العلمية لهذا التحقيق رهينة بالرجوع إلى المصادر الأصيلة والأولية؛ فقد اشتمل مجتمع البحث من المصادر على فئتين رئيستين:

المصادر المكتوبة للشهيدة: وتضم المجموعة الكاملة لقصصها القصيرة ذات البعد التوعوي، والمقالات المنشورة في مجلة الأضواء آمنة الصدر، دورنا مع المرأة المسلمة، والخطابات المسجلة في المنعطفات التاريخية الحساسة.

مصادر السيرة والوثائق التاريخية: وتتضمن تقارير شهود العيان والوثائق التاريخية التي دونها

رفاق دربها نحو: محمد رضا النعماني، الشهيدة بنت الهدى: سيرتها ومسيرتها، فضلاً عن الوثائق الإدارية والتربوية المتعلقة بمدارس الزهراء في النجف وبغداد.

وفي هذا المسار، تم استخدام العينة الهادفة؛ بمعنى انتخاب تلك النصوص والوقائع التاريخية الأكثر قرابةً معرفية بمفاهيم الهوية، والخلافة الإلهية، والفاعلية الحماسية، بوصفها وحدات للتحليل، وذلك لضمان العمق النوعي للبحث.

٢. مراحل تحليل البيانات: من استخراج الرموز إلى تكوين النموذج الهيكلي

إنّ عملية تحليل البيانات في هذا البحث ليست مساراً خطيًا، بل هي سيرورة جدلية ديالكتيكية ترتاد الفضاء ما بين النظرية والتطبيق، وقد أُنجزت عبر ثلاث خطوات استراتيجية:

الخطوة الأولى؛ الترميز المفتوح واستخراج الثيمات: في هذه المرحلة، خضعت كافة النصوص وتقارير السيرة لقراءة فاحصة، حيث استُخرجت المفاهيم المفتاحية المرتبطة بهوية المرأة والنظام التربوي، من قبيل الوعي الاستراتيجي، والاستغناء الهوياتي، والاستخلاف، والإيثار الواعي، والمقاومة الثقافية بوصفها رموزاً أولية. وقد انصب الجهد في هذا المستوى على ترجمة لغة الشهيدة بنت الهدى إلى مفاهيم علمية رصينة، بعيدًا عن أي أحكام مسبقة للباحث.

الخطوة الثانية؛ الترميز المحوري وتنظيم المقولات: تم في هذه المرحلة رصد الروابط الدلالية بين الرموز المستخرجة، حيث صُنفت الرموز المبعثرة ضمن مضامين فرعية ثم مضامين رئيسة. كما جرى استقراء النسبة المعنوية بين الأفكار التجريدية والكلامية للإمام الشهيد الصدر ولا سيما نظرية استخلاف الإنسان، وبين الفاعلية العينية والتربوية للشهيدة بنت الهدى؛ وذلك لإثبات الانسجام الداخلي لمدرسة الصدر في شؤون المرأة.

الخطوة الثالثة؛ التفسير والنمذجة: في الخطوة الختامية، وباستخدام المنهج الاستنتاجي، تم رسم النموذج النهائي لـ إعادة بناء هوية المرأة المسلمة. وفي هذا المستوى، ارتقت النتائج من طبقة الوصف التاريخي والبيوغرافي إلى طبقة التبيين الهيكلي. وكان الهدف المنشود هو صياغة التربية الحماسية بوصفها نظامًا منسجمًا قادرًا على العمل كـ خطاب مضاد في مواجهة النماذج العلمانية والتحجرية، بما يلبي الاحتياجات الحرجة للعصر الراهن.

إنّ هذا الإطار المنهجي يضمن أنّ نتائج البحث لم تأتِ وليدة تحليلات ذوقية، بل هي نتاج سيرورة علمية منظمة قابلة للفحص والتحقق والاستناد إلى النصوص الأصيلة.

٣. الإطار النظري؛ إعادة بناء الهوية في نموذج التربية الحماسية

إنّ استقراء سيرة الشهيدة بنت الهدى الصدر وفاعليتها دون إدراك البنى التحتية النظرية لمدرستها التربوية سيظل تحليلاً منقوصًا وواصفًا فحسب. فالتربية الحماسية في منظومتها الفكرية ليست مجرد تقنية سلوكية بسيطة أو مجموعة من المواعظ الأخلاقية، بل هي ديسيپلين انضباط حضاري ونظام تشغيل هوياتي. ويرتكز هذا النموذج على ثلاث نظريات كبرى: الأنثروبولوجيا الاستخلافية (المبدأ)، والأبستمولوجيا القائمة على الوعي (الأرضية)، وسوسيولوجيا المقاومة (الغاية).

٣. ١. الأنثروبولوجيا الاستخلافية؛ ربط الإرادة الإنسانية بالرسالة الوجودية

نقطة الانطلاق في هندسة الشهيدة بنت الهدى الفكرية هي نظرية استخلاف الإنسان؛ وهي أصالة معرفية تضرب بجذورها في المنظومة الكلامية والقرآنية للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر. ففي هذا البرادايم، ليس الإنسان ذاتًا منسية في جبر التاريخ الأعمى، ولا مجرد ظاهرة بيولوجية محصورة في الاحتياجات المادية، بل هو كائنٌ يُعدّ حاملاً للإرادة الإلهية المطلقة في الأرض[١].

وقد استطاعت الشهيدة بنت الهدى، بعبقرية اجتهادية، إخراج هذا الأصل الكلامي من دائرة المباحث التجريدية في الحوزة والجامعة، لتعمل على توطينه في فضاء الهوية النسوية. وتتجلى ابتكاراتها الاستراتيجية هنا في تجريد مقام الخلافة الإلهية من الجندرية؛ إذ انتقدت صراحةً القراءات التقليدية المتحجرة التي كانت ترى المرأة كائنًا هامشيًا وتابعًا وعاجزًا عن القيادة العقلانية، محتجةً بأن المخاطب بمقام الخلافة هو الإنسان، وأنّ هذا المقام يحمل ماهيةً متعالية على الجنس. لذا، فإن المرأة المسلمة في مدرسة بنت الهدى تُعرف بـ مسؤوليتها الوجودية تجاه التاريخ والخالق، قبل أن تُعرف بأدوارها التبعية أو الجندرية.

ومن منظور التربية الحماسية، فإنّ الجذر الأساس لأزمة المرأة المعاصرة لا يكمن في نقص الحريات المدنية، بل في أزمة الاغتراب. إذ كانت الشهيدة تعتقد أن الهوية الأصيلة للمرأة محاصرة وممسوخة بين طبقتين من الذات المزيفة:

الذات التقليدية: وهي الهوية المنبثقة عن العادات غير الدينية والرواسب الثقافية التي تتلفع بعباءة المذهب لتكبِّل فاعلية المرأة وتحولها إلى كائنٍ وجلٍ فاقدٍ للإرادة.

الذات المتغربة: وهي الهوية المنبثقة عن الحضارة المادية التي اختزلت المرأة، تحت شعار الحرية، إلى موضوع للاستهلاك في النظام الرأسمالي، وأفرغتها من أبعادها القدسية[٢].

---

١. محمد باقر الصدر، المستند في شرح العروة الوثقى، ص ٨٢.

٢. فاضل النوري، الشهيدة بنت الهدى؛ أساليب الدعوة وسر الانتصار، ص ١١.

إن التربية الحماسية هي سيرورة العودة من هاتين الذاتين المزيفتين إلى الذات الاستخلافية؛ وهي عودة تعني استعادة الإرادة التي لا تنحني أمام أي طاغوت، سواء كان استبدادًا سياسيًا بعثيًا أو هيمنة ثقافية غربية. وفي هذه الطبقة، تستلهم الحماسةُ روحَها من واقعة عاشوراء، لا بوصفها مرثيةً أو نوستالجيا تاريخية، بل بوصفها معادلة تربوية حية؛ تتقلد فيها المرأة تأسيًا بالصديقة زينب الكبرى عليها السلام دور معمار هوية المقاومة والحفاظ على كيان الحق، متجاوزةً دور المتفرج التاريخي. فالمرأة التي بلغت النضج الاستخلافي تدرك أنّ صمتها أمام الباطل ليس وقارًا، بل هو خيانة لأمانة الخلافة الإلهية.

٣. ٢. الأبستمولوجيا القائمة على الوعي؛ الإدراك الذكي لحماية الثغور الثقافية

الركن الثاني في هندسة هوية المرأة الرسالية هو مفهوم الوعي الاستراتيجي. ففي أبستمولوجيا الشهيدة بنت الهدى، لا يعني الوعي أبدًا التراكم الحيادي للمعلومات أو حفظ القوانين العلمية، بل هو إدراكٌ موقعي ورسالي لخارطة الحضارة الكبرى، وأداةٌ لفهم نسبة الذات إلى تيار الحق والباطل في كل لحظة تاريخية.

للوعي في فكر الشهيدة وظيفة دفاعية-هجومية؛ فقد كانت تؤمن بأنّ العدو يحتل الجغرافيا الذهنية للنساء قبل احتلال الأرض، لذا حللت الوعي في ثلاثة مستويات مترابطة:

الوعي التوحيدي: وجذره العبودية المطلقة للّه، مما يفضي بالضرورة إلى نفي أي سلطة لغير اللّه مقارعة الطاغوت. فالمرأة الواعية توحيديًا لا ترى قوةً تضاهي الإرادة الإلهية، مما يجعلها عصيةً على الانكسار النفسي أمام التهديدات المادية.

الوعي الزماني وتيارية الفكر: أكدت الشهيدة على ضرورة المعرفة الدقيقة لـ روح العصر، وتمييز التيارات الفكرية المعارضة سواء الماركسية أو الليبرالية الغربية كي لا تقع المرأة في فخ الاستحالة تحت شعارات خادعة[1].

الوعي الإعلامي والتكتيكي: ويشمل إدراك أساليب الحرب الناعمة وآليات تغيير الذائقة الثقافية التي تمارسها الأنظمة الاستبدادية والاستعمار، وهو ما جسدته ببراعة في قصصها.

من منظور التربية الحماسية، فإن المرأة فاقدة الوعي ـ وإن كانت متدينة عباديًا ـ تتحول في المنعطفات التاريخية إلى عنصرٍ حيادي أو منفعل أو حتى مخرب دون قصد؛ لافتقارها لقدرة

---

١. ماجدة المؤمن، الشهيدة بنت الهدى الواقع والآمال، ص ٤.

التحليل. لذا، سعت بنت الهدى الصدر، عبر ربط المعرفة بـ عزة النفس الدينية، إلى علاج الشعور بالدونية المعرفية أمام الغرب، حيث رأت أن الهزيمة الذهنية هي أصل التخلف. وبناءً عليه، سعت من خلال إدارة مدارس الزهراء عليها السلام وكتابة القصص الهادفة مثل امرأتان وضربة أو صراع مع الحياة إلى بناء امرأة عصية على الاختراق فكريًا[1].

٣. ٣. سوسيولوجيا المقاومة؛ إعادة قراءة دور المرأة في فكر مدرسة الصدر

في هذه المرحلة، تغادر التربية الحماسية فضاء الإصلاح الفردي لتهاجر نحو ساحت الفاعلية الاجتماعية والحضارية. وتتأسس سوسيولوجيا المقاومة عند الشهيدة بنت الهدى على مبدأ استراتيجي مفاده أنّ المرأة هي النواة الصلبة لمقاومة الأمة ضد التفسخ الثقافي والسياسي، معرفةً هوية المرأة برابطة عضوية مع مفهوم الأمة.

وقد قدمت الشهيدة، بنقدها الجذري للواقع، نموذج المرأة الرسالية كخطاب مضاد للنموذجين السائدين في عصرها:

نقد نموذج الانفعال التحجّر: حيث الدين مدعاة للعزلة واللامبالاة تجاه مصير المجتمع، وهو صمتٌ يمهّد الطريق للاستبداد.

نقد نموذج الاستحالة التغريب: الذي يذبح الأصالة الوحيانية للمرأة بشعارات التحديث، ليجعلها برغيًا في آلة الهيمنة الغربية[2].

نموذج الشهيدة هو الطريق الثالث أو الفاعلية المتمحورة حول المقاومة؛ حيث المرأة هي القلب النابض للمجتمع، والمسؤولة عن إعادة إنتاج القوة الناعمة وصيانة الحدود العقائدية. التربية الحماسية هنا هي توليفة بين العاطفة النسوية والصلابة الجهادية. وخلافًا للقراءات النسوية التي ترى الأسرة قيدًا، رأت بنت الهدى في الأسرة ثكنة لتربية المجاهدين وخندق المقاومة الأول[3].

وتتجلى ذروة هذه السوسيولوجيا في مفهوم الفاعلية الحدّية؛ أي الحضور الشجاع في اللحظات التي يخيم فيها صمت الرعب على المجتمع، كما فعلت بصرختها في صحن الإمام علي ١٧ احتجاجًا على اعتقال أخيها، محولةً هويتها الفردية إلى رمز لليقظة الجماعية.

---

١. علي رضا النعماني، الشهيدة بنت الهدى: سيرتها ومسيرتها، ص ٦٧.
٢. أزهار جبر هادي، بنت الهدى نشأتها ورؤاها الإصلاحية والسياسية، ص ٨.
٣. معصومه صابري، تبيين رسالة المرأة الحوزوية، ص ٨٢.

٣. ٤. المزيج النهائي؛ انسجام ساحات الهوية الشاملة في التربية الحماسية

كخلاصة للمباني النظرية، يمكن التأكيد على أنّ التربية الحماسية عند الشهيدة بنت الهدى هي نظام تشغيل هوياتي استطاع إيجاد سنتز توليفة ديناميكي بين الساحات المتضادة ظاهريًا:

في الساحة الفردية والأنفسية: تصل المرأة، بالاتكاء على الوعي، إلى اليقين والاستقلال المعرفي والتحرر من التقليد الأعمى.

في الساحة الأسرية والتربوية: تستثمر قوة العاطفة والعقلانية الرحمانية لبناء الإنسان، فتصبح الأسرة الخلية الأساس للمقاومة.

في الساحة الاجتماعية والحضارية: بروح الحماسة والمسؤولية، تناهض الطواغيت وتتحول من مربية منزلية إلى فاعلة حدّية تفتح بلسان المنطق والدم مسارات اليقظة.

هذه الهوية الشاملة هي الرد الاستراتيجي على أزمات المرأة في القرن الحادي والعشرين. وعلى الباحثين إدراك أنّ ابتكار الشهيدة يكمن في ارتقائها بالمرأة من كائن تحت التربية إلى مُربّية لصناع الحضارة. وختامًا، لم تكن شهادة آمنة الصدر مجرد نهاية تراجيدية، بل كانت توقيعًا بالدم على فاعلية هذا النموذج، ومثبتةً أن التربية الحماسية تبني إنسانًا يتوحد فيه الكلمة والدم في أعلى مستوياتهما[١].

٣. ٥. النموذج المفاهيمي للبحث؛ ترسيم البنية الهوياتية في نظام التربية الحماسية

لا يمثل هذا النموذج مجرد ترسيم شماتيك أو مخطط عابر، بل هو بنية هوياتية وعقيدة نمائية تتبع مسار استعلاء المرأة المسلمة وتكاملها بناءً على مدرسة الشهيدة بنت الهدى الصدر. إن هذا النموذج المفاهيمي ينقل الهوية من حالة الجمود والنمطية إلى صيرورة ديناميكية صانعة للحضارة، ويمكن تحليله عبر ثلاثة مستويات متآزرة:

١. المستوى البنيوي: الطبقة الكلامية عزة النفس بتمحور الاستخلاف

تستهدف هذه الطبقة، بوصفها هدفًا جوهريًا، إعادة بناء أسس معرفة الذات لدى المرأة. فالشهيدة الصدر، وبناءً على نظرية الاستخلاف الإلهي، تُخرج المرأة من تعريفها كتابعٍ في ظل الرجل أو خاضعٍ للأعراف الاجتماعية المفروضة، لتعيد تقديمها بوصفها أمينةً على الإرادة الإلهية في الأرض[٢]. إيجاد عزة النفس الوجودية. فالمرأة التي تدرك ذاتها خليفةً للّه، لا تقع في فخ الاستلاب

---

١. أحمدي بيغش، واكاوي شيوه‌هاى روشنگرانه، ص ٢٣٠.

٢. محمد باقر الصدر، الخلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، ص ٨٢.

الحضاري أو النظرة التسليعية التي تروج لها المنظومات المادية؛ إذ تستقي صلابتها الهوياتية من عين الوحي، مما يجعل بناءها النفسي عصيًا على الاختراق أمام أمواج الاستحالة.

٢. المستوى الهيكلي: الطبقة المعرفية الوعي أو الإدراك الاستراتيجي

في هذه الطبقة، تُعرّف هوية المرأة بالنسبة إلى الآخر، المجتمع والعالم. تسعى الشهيدة الصدر، من خلال هندسة نتاجها القصصي وإدارتها التربوية، إلى خلق بصيرة نقدية؛ فهي تُجهّز المرأة بأدوات التحليل التي تمكّنها من تشخيص الطبقات الخفية للهيمنة الثقافية. تحويل المرأة من مستهلك منفعل إلى محلل فاعل. في هذه المرحلة، تتحول هوية المرأة إلى حصن فكري؛ إذ يتيح لها الوعي الاستراتيجي التمييز الدقيق بين التحديث النافع والتغريب المدمّر، مما يحول دون تآكل الحدود الثقافية في بنية الأسرة والمجتمع[١].

٣. المستوى الغائي: الطبقة الفعلية المسؤولية الحضارية والحماسة

تمثل هذه الطبقة فضاء التجلي والظهور للهوية في ميدان العمل البركسيس. فالهوية التي أُعيد بناؤها في المستويين السابقين تتحول في هذه المرحلة إلى حركة تبدأ من إصلاح النواة المركزية الأسرة، وصولاً إلى الحضور في النضالات السياسية الكبرى والهياكل الحضارية وصياغة الذات الحماسية. وتتجلى ذروة هذه الطبقة في قيمة التضحية الواعية (الشهادة)؛ ففي هذا المستوى، تساهم المرأة المسلمة بإيثارها في تغيير موازين القوى لصالح جبهة الحق[٢]. هنا تتحول الهوية الفردية إلى رأسمال رمزي لإيقاظ الأمة بأسرها.

خلاصة النموذج المفاهيمي: يُظهر هذا النموذج أن التربية الحماسية في رؤية الشهيدة الصدر تتجاوز حدود التعليم البسيط لتكون دستورًا جامعًا للولادة الجديدة للمرأة المسلمة. تبدأ هذه السيرورة من تقويم الجذور الاعتقادية (العزّة)، وتمر عبر قناة الوعي السياسي والاجتماعي (الوعي)، لتفضي في النهاية إلى خلق ملحمة حضارية (المسؤولية). إن هذا النموذج يغيّر وضعية هوية المرأة من حالة الدفاع والارتباك إلى حالة الهجوم وصناعة الحضارة، مما يجعلها قادرة على الحفاظ على فاعليتها الأصيلة في مواجهة أعقد الحروب الإدراكية المعاصرة.

٤. المظاهر العملية للتربية الحماسية في سيرة وآثار الشهيدة بنت الهدى الصدر

في هذا القسم، ننتقل من فضاء المرتكزات النظرية إلى استقراء التجليات العينية لهذه الأطروحة في

---

١. علي رضا النعماني، الشهيدة بنت الهدى: سيرتها ومسيرتها، ص ٨٢.

٢. معصومه صابري، تبيين رسالة المرأة الحوزوية...، ص ٨١.

مقام البركسيس الممارسة الواعية. إذ ترسم السيرة العملية للشهيدة بنت الهدى الصدر صورةً دقيقة للصيرورة التي يخرج فيها الفعل التربوي من حصار الفعل الأخلاقي الفردي والتجريدي، ليعاد تعريفه بوصفه استراتيجية سياسية-حضارية. لقد أثبتت الشهيدة أن التربية ليست مقدمةً للحماسة، بل هي عينُ الحماسة وجوهرُها.

٤. ١. الاستراتيجيات التعليمية في المؤسسات المدنية؛ دور مدارس الزهراء عليها السلام في تنشئة الشخصية الحماسية

لم تكن مدارس الزهراء عليها السلام في النجف الأشرف والكاظمية، تحت الإشراف والإدارة التدبيرية للشهيدة بنت الهدى، مجرد محاضن لمحو الأمّية الكلاسيكية؛ بل كانت هذه المؤسسات بمثابة مختبرات عملية للتربية الحماسية وحصونٍ لإعادة إنتاج الهوية الإسلامية. ففي حقبة خضع فيها النظام التعليمي الرسمي في العراق لهيمنة تامة من أيديولوجية البعث التي رامت المسخ الهوياتي وتجفيف المنابع الدينية وتحويل الطلبة إلى بيادق في تروس الحزب، نجحت بنت الهدى في قيادة نظام تعليمي موازٍ وخطابٍ منافس.

٤. ١. ١. نظام التربية الجهادية والإدارة في زمن القمع

اعتمدت الشهيدة بنت الهدى في إدارتها لهذه المدارس استراتيجية التعليم الخفي. فقد تمكنت بذكائها الاستراتيجي من الالتزام بالمعايير التعليمية الرسمية لتلافي حساسية النظام وتجنب الملاحقة، بينما كانت تضخ مضامين الوعي الإسلامي الغنية في صلب الأنشطة غير الرسمية والتربوية. لقد آمنت بأنّ المدرسة هي الخندق الأول لصيانة عزة النفس الدينية للفتيات أمام أمواج الإلحاد[١].

ومن خلال إقامة الندوات اللاصفية، والروابط الأدبية، والمسابقات العلمية العقائدية، كانت بنت الهدى تصقل عقول الطالبات لتكون لديهن قدرة على التحليل النقدي في مواجهة الشبهات الماركسية الجذابة والإيحاءات القومية للنظام. لقد خرجت الطالبة لا بوصفها وعاءً لتكديس المعلومات، بل بوصفها مجاهدة فكرية قادرة على التمييز بين الحضارة المادية والحضارة الوحيانية.

٤. ١. ٢. أساليب إعداد الكوادر والشبكات النسوية الرسالية

تُعدّ نقطة التحول في سيرتها العملية هي التركيز على العنصر الإنساني المتمثل في المربي بوصفه المحرك الأساس للتغيير الاجتماعي. إذ اعتقدت بنت الهدى بعمق أن المربي الذي يفتقر إلى الروح الحماسية والصلابة الهوياتية لا يمكنه أبدًا تنشئة جيلٍ حماسي. ومن هنا، عقدت جلسات

---

١. ماجدة آل مرتضى المؤمن، الشهيدة بنت الهدى الواقع والآمال، ص ٣.

تخصصية وحلقات لصناعة الكوادر استهدفت معلمات مدارس الزهراء والناشطات الثقافيات[1].

تجاوزت في هذه الجلسات مستويات التدريس الكلاسيكي للمعارف إلى تبيين الرسالة السياسية للمرأة في عصر الغيبة، وكيفية النفاذ إلى قلوب الجيل الصاعد. وبذلك تحولت هؤلاء المربيات إلى نواة تبليغية صلبة نقلت التربية الحماسية من المحيط المدرسي الضيق إلى أعماق البيوت والأحياء والمحافل الأسرية. وقد اكتسبت هذه الشبكة الإنسانية ترابطًا عضويًا ونفوذًا اجتماعيًا عميقًا لدرجة أنّ الروح السارية في هذا البناء لم تخمد حتى بعد إجراءات النظام القمعية بتأميم المدارس عام ١٩٧٢، بل استمرت عبر الأنشطة السرية والمنزلية لتثمر بذور اليقظة بين نساء العراق.

٤. ٢. الحماسة الأدبية؛ تحليل النتاج القصصي بوصفه تكنولوجيا لإعادة بناء الهوية

بفهمٍ عبقري لآليات القوة الناعمة، اتخذت الشهيدة بنت الهدى الصدر الأدب القصصي وسيلةً استراتيجية لنقل برادايم التربية الحماسية، وليس مجرد وسيلة للترفيه. فأعمالها الخالدة مثل امرأتان ورجل، لقاء في المستشفى، والفضيلة تنتصر، ليست مجرد قصص أخلاقية تنتهي بالمواعظ؛ بل هي محاكاة درامية دقيقة للصراع بين الهوية الوحيانية الأصيلة والهوية المادية المستحيلة في عالمنا المعاصر.

٤. ٢. ١. نقد النظرة الأداتية وجماليات اليقظة في الأدب الملتزم

بناءً على تحليلات الدكتورة ماجدة حمود، يعد أدب بنت الهدى مصداقًا بارزًا لـ الأدب الملتزم، حيث تضطلع الكلمة بمهمة تغيير الواقع. قدّمت في قصصها تيبولوجيا نمذجة جديدة للمرأة تختلف جوهريًا عن النماذج التقليدية والغربية. فالبطلات في أعمالها لسن بالضرورة شخصيات هامشية، بل هن طبيبات وطالبة ومعلمات يتسمن بالذكاء والكفاءة، ويخترن المجاهدة العزيزة على الرفاه الذليل بوعي تام[2]. إنّ هذا التجسيد الفني هو التجلي العيني لـ الوعي وعزة النفس؛ إذ توحي للقارئ بأن الحماسة لا تكمن في إطلاق الرصاص فحسب، بل في القدرة على قول لا للأنماط المفروضة من الحضارة المادية والحفاظ على استقلال الروح.

٤. ٢. ٢. الفن بوصفه وسيلة إعلامية بديلة في زمن الاختناق

في ظل حصار النظام البعثي لجميع المنابر الفكرية وعسكرة الفضاء العام، تداولت النساء المسلمات قصص بنت الهدى بوصفها كتيبات إرشادية للحياة الحماسية. لقد عملت على تبسيط المفاهيم الفلسفية والكلامية المعقدة للإمام الشهيد الصدر مثل نظرية الاستخلاف وتزاحم الإرادات، وصبّها

---

١. علي رضا النعماني، الشهيدة بنت الهدى: سيرتها ومسيرتها، ص ٨٥.
٢. ماجدة حمود، بنت الهدى في منظور النقد الأدبي، ص ٧.

في قالب شخصيات ملموسة ومواقف قصصية بسيطة لتمكين القواعد النسوية من إدراك نسبتهن إلى المفاهيم العليا كـ الإمام والأمة[1]. هذا المنهج ارتقى بالأدب من فنٍّ ترفيهي إلى تكنولوجيا تربوية وظيفتها الأساسية تعبئة الإرادات واستقطاب الطاقات لجبهة الحق.

٤. ٣. الفاعلية السياسية والقيادة الميدانية؛ من التبيين إلى الاستشهاد

لم تتجلَّ ذروة التربية الحماسية في سطور الكتب فحسب، بل تبلورت في الفاعلية السياسية المباشرة، وفي نهاية المطاف، في شهادتها الحمراء. وهذا القسم يمثل الإجابة النهائية عن سؤال: كيف يتحول الوعي والعزة في لحظة الأزمة إلى شجاعة زينبية تُغير موازين القوى؟

٤. ٣. ١. خطاب الحرم؛ تهاوي هيبة الخوف

إنّ خطابها التاريخي والعاصف في حرم الإمام علي عليه السلام عقب اعتقال الإمام الشهيد الصدر، لم يكن مجرد احتجاج سياسي ضد حاكم مستبد؛ بل كان فعلاً تربويًا بمقياسٍ عام. فمن خلال حضورها الشجاع وصرختها ضد الظلم، طبقت عمليًا نموذج المرأة الرسالية الذي رسمته لسنوات في دروسها وقصصها[2]. أثبتت هذه الواقعة أن التربية الحماسية توصل الفرد إلى استقلال في الإرادة يجعله لا يضحي بمسؤوليته التاريخية من أجل السلامة الشخصية حتى أمام أعتى الأجهزة الأمنية. لقد حطمت بصنيعها هذا هيبة الخوف في قلب المجتمع.

٤. ٣. ٢. نموذج الشهادة؛ الشهادة النهائية على أحقية النظام التربوي

تمثل الشهادة المظلومة والبطولية لبنت الهدى الصدر مع أخيها نقطة الكمال والتوقيع الدموي على نظامها التربوي. ففي منطق التربية الحماسية، ليس الموت نهايةً للمسار، بل هو جزء من صيرورة اليقظة الحضارية. لقد اختارت طريق الشهادة بوعي تام بمصيرها المحتوم، لتعلم النساء المسلمات عبر التاريخ أنّ صيانة الهوية والمبدأ لها ثمنٌ قد لَا يُدفع إلا بأغلى ما يملكه الإنسان: دمه[3]. لقد حوّل استشهادها نظرية المرأة بوصفها ذاتًا رسالية من نص مكتوب إلى حقيقة تاريخية غير قابلة للتدمير تلهم أجيال المجاهدين المتعاقبة.

٤. ٤. إعادة قراءة تطبيقية؛ كاربست التربية الحماسية في عصر الرقمنة والحرب الإدراكية

تقتضي الضرورة في هذا القسم، وبنظرة استشرافية، إعادة قراءة نموذج التربية الحماسية للشهيدة بنت الهدى في مواجهة التحديات الناشئة في القرن الحادي والعشرين. فإذا كان تحدي عصر

---

١. معصومه صابري، تبيين رسالة المرأة الحوزوية...، ص ٨٥.
٢. فاضل النوري، الشهيدة بنت الهدى؛ أساليب الدعوة وسر الانتصار، ص ٨.
٣. خديجة أحمدي بيغش، واكاوي شيوههاي روشنگرانه...، ص ٢٣٠.

الشهيدة هو مواجهة الإيدلوجيات الكلاسيكية الماركسية والليبرالية الوضعية في الفضاء الفيزيائي، فإن تحدي اليوم هو الاستحالة الهوياتية في الطبقات المعقدة للفضاء الافتراضي والحرب الناعمة الإدراكية التي تستهدف إرادة المرأة المسلمة وإدراكها مباشرة.

٤. ٤. ١. من مدارس الزهراء إلى البيئة الرقمية؛ استراتيجية التبليغ الذكي

أثبت نموذج الإدارة التربوية للشهيدة في مدارس الزهراء أنّ التربية الحماسية لكي تستمر، يجب أن تكون مؤسساتية وشبكية. واليوم، تكمن رسالة النخبة من النساء المسلمات في إعادة إنتاج ذلك الوعي الاستراتيجي في البيئة الرقمية.

التحليل الاستراتيجي: بناءً على مؤلف الاعتزاز بالهوية، لا ينبغي للمرأة المسلمة المعاصرة أن تكون مجرد مستهلك منفعل ومتأثر في الفضاء الافتراضي؛ بل يجب أن تعمل بصفتها صانعة محتوى حماسي وناشطة فاعلة. إنّ استخدام الشهيدة الرائد للفن القصصي في العقود الماضية يمثل تمهيدًا لضرورة استخدام القوالب الإعلامية المستحدثة مثل البودكاست، والسرد الرقمي، والفنون المتعددة الوسائط لتبيين المعارف الأصيلة. هذا هو التبليغ الذكي الذي تُصان فيه هوية المرأة المسلمة لا بالانزواء والهروب من التكنولوجيا، بل في متن المعركة الإعلامية وعبر تطويع أدوات العدو[١].

٤. ٤. ٢. مواجهة أزمة المعنى وإعادة بناء الدور المؤثر للمرأة المسلمة في عالم اليوم

في العصر الراهن، حيث تسعى الحضارة المادية إلى إعادة تسليع المرأة في قوالب حديثة وما بعد حديثة، تبرز نظرية الأنثروبولوجيا الاستخلافية لبنت الهدى بوصفها الترياق الوحيد لأزمة المعنى. فالمرأة اليوم، بعودتها إلى الذات الاستخلافية، تتحرر من التنميط وفق المعايير الجمالية والاستهلاكية للرأسمالية، وتستطيع إيجاد توازن مستدام بين التخصص العلمي والالتزام الرسالي.

الشرح والتفسير: يعلمنا نموذج التربية الحماسية أنّ الفاعلية الاجتماعية للمرأة لا ينبغي أن تكون على حساب تقويض كيان الأسرة؛ بل يجب إعادة تعريف الأسرة بوصفها غرفة عمليات الحرب الناعمة ضد الاستحالة الثقافية. في هذا النموذج، لا تقف المرأة في تضاد مع الأسرة، بل بصفتها القائدة الروحية لهذا الكيان، تضطلع بمهمة نقل العزة والوعي إلى الأجيال القادمة.

هذا «السنتز» التوليفة بين الأدوار العاطفية الأسرية والمسؤوليات الحضارية الكبرى، هو بالضبط ذلك الفراغ الهائل الذي أدى في المجتمعات الحديثة إلى انهيار شخصية المرأة وأزمة الهوية. ومن منظور مدرسة الصدر، فإن المرأة المسلمة في العصر الرقمي هي حارسة حدود الهوية التي تذود

---

١. ينظر: معصومة صابري، تبيين رسالة المرأة الحوزوية...، ص ٧٩.

بسلاح الوعي عن حياض المعنى[1].

الخاتمة والمقترحات التطبيقية:

استهدف البحث الحالي كشف النقاب عن مؤلفات التربية الحماسية في فكر الشهيدة بنت الهدى الصدر وسيرتها، بغية ترسيم مسارٍ جلي للخروج من مآزق الهوية التي تواجه المرأة المسلمة المعاصرة. وتُظهر نتائج هذه الدراسة بجلاء أنّ نموذجها التربوي يتجاوز كونه مجرد رد فعل تاكتيكي تجاه الاستبداد السياسي في عصرها، ليرتقي إلى مصاف دستور حضاري شامل قابل لإعادة الإنتاج في مختلف الحقب التاريخية. ويمكن صياغة النتائج النهائية لهذا التحقيق ضمن ثلاثة محاور كبرى:

١. الانتقال من الفعل الأخلاقي إلى الفاعلية الحضارية

أبانَ تحليل المرتكزات الكلامية أن هوية المرأة في مدرسة الصدر تقوم على أسس الأنثروبولوجيا الاستخلافية. وتتجلى أهمية هذا المكتشف عند مقارنته بالنماذج السائدة في الدراسات ما بعد الاستعمارية كنموذج سياسة التقوى عند صبا محمود؛ فبينما تحصر تلك النماذج فاعلية المرأة في خانة الالتزام بالفضائل الأخلاقية والصيانة الصبورة للتقاليد، ينطوي نموذج بنت الهدى الصدر على محرك حماسي ذي نزعة هجومية. ففي هذا البرادايم، يتغير موقع المرأة من ذاتٍ ورعة منفعلة إلى ذاتٍ رسالية تضطلع بمهمة جوهرية لا تقف عند حدود التقوى الفردية، بل تمتد لتشمل دكّ صروح الظلم والمشاركة الفاعلة في إرساء نظم حضاري جديد.

٢. تضافر الوعي والفن في إعادة بناء الهوية:

كشفت نتائج تحليل الآثار الأدبية أنّ الشهيدة الصدر، وبفهمٍ ريادي لآليات القوة الناعمة، تمكنت من تحويل مفاهيم عزة النفس الدينية التجريدية إلى أنماط سلوكية ملموسة ودرامية. إذ مارست نقدًا ذكيًا لنموذج المرأة الأداة، وأعادت بناء هوية يشكل فيها الوعي الاستراتيجي سدًا منيعًا أمام أمواج الاستلاب الثقافي. لقد أثبت هذا النموذج إمكانية صياغة هويةٍ تكون ذات حضور فاعل وموجِّه في قلب تحولات العصر، دون الانزلاق في فخ التحجر الانزوائي أو التحديث المتغرب، مع التمسك الصارم بالجذور الوحيانية.

٣. الشهادة بوصفها ذروة التربية الحماسية وبرهان الصدق

أثبتت السيرة العملية للشهيدة أن الغاية القصوى للتربية الحماسية هي بلوغ مقامٍ تتقدم فيه المبادئ التوحيدية على الاعتبارات الغريزية والفردية. إنّ فاعليتها الحدّية التي تجلت في خطابها التاريخي

---

١. فاضل النوري، الشهيدة بنت الهدى؛ أساليب الدعوة وسر الانتصار، ص ٩.

بالحرم العلوي، ومن ثم تضحيتها الواعية إلى جانب الإمام الشهيد الصدر، كانت بمثابة التوقيع النهائي على صدق نظريةٍ ترى في المرأة قلب المقاومة النابض للأمة لا ضلعها الضعيف. فالشهادة في هذه المدرسة ليست مأزقًا أو نهاية، بل هي أسمى صور الفاعلية لتخليد المبدأ.

المقترحات التطبيقية والاستراتيجية:

استنادًا إلى ما خلص إليه البحث من نتائج، نتقدم بالمقترحات الآتية لتفعيلها على مختلف المستويات:

على الصعيد التربوي والتعليمي: تبرز الضرورة لإعداد وثيقة تحوّل للتربية الحماسية للفتيات استلهامًا من التجربة الإدارية لمدارس الزهراء عليها السلام. يجب أن تركز هذه الوثيقة على تعزيز عزة النفس الوطنية والبصيرة السياسية، وتحويل المدرسة من بيئة تعليمية صرفة إلى كادرٍ لصناعة القيادات الحضارية.

على الصعيد الإعلامي والفني: نظرًا لعبقرية الشهيدة في توظيف الأدب القصصي، يُقترح إعادة إنتاج نماذج فاعليتها عبر القوالب الإعلامية الحديثة، مثل السرد الرقمي، والبودكاست القائم على السيناريو، والألعاب التعليمية وذلك لتعزيز الخطاب المضاد لـ المرأة الرسالية في الفضاء الافتراضي.

على الصعيد البحثي والدولي: نقترح إجراء دراسات مقارنة موسعة بين نموذج المرأة الرسالية في مدرسة الصدر والتيارات النسوية الحديثة في العالمين الإسلامي والغربي، وذلك لاستنباط خطاب شيعي بديل في المحافل الدولية. ومن شأن ذلك أن يسهم في عولمة نموذج بنت الهدى الصدر بوصفه حلاً لأزمة هوية المرأة على نطاقٍ عالمي.

المصادر والمراجع

١. أحمدي بيغش، خديجة، واكاوي شيوه‌هاى روشنگرانه بانو مجتهده أمين وشهيده بنت‌الهدى صدر، جامعة تربيت مدرس، طهران، ١٣٩٦ ش.

٢. حمود، ماجدة، «المرأة في أدب بنت الهدى»، مجلة دراسات إسلامية، دمشق، ١٩٩٨م.

٣. صابري، معصومة، تبيين رسالت زن حوزوى در انديشه وسيرة شهيده بنت‌الهدى صدر، پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامى، قم، ١٣٩٩ ش.

٤. الصدر، آمنة (بنت الهدى)، دور المرأة في المسيرة الإسلامية، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢١ ق / ٢٠٠٠ م.

٥. الصدر، آمنة (بنت الهدى)، المجموعة القصصية الكاملة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٠ ق.

٦. الصدر، محمد باقر، الخلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، بغداد، ٢٠٠٩ م.

٧. الصدر، محمد باقر، المدرسة الإسلامية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠١ ق.

٨. المؤمن، ماجدة آل مرتضى، الشهيدة بنت الهدى: الواقع والآمال، النجف الأشرف، ١٤٢٢ق.

٩. النعماني، محمد رضا، الشهيدة بنت الهدى: سيرتها ومسيرتها، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، ١٤٢١ ق / ٢٠٠٠ م.

١٠. النوري، فاضل، الشهيدة بنت الهدى؛ أساليب الدعوة وسر الانتصار، دار القارئ، بيروت، ١٤٢٠ ق.

١١. هادي، أزهار جبر، بنت الهدى: نشأتها ورؤاها الإصلاحية والسياسية، مؤتمر الشهيدة بنت الهدى الدولي، بغداد، ٢٠١١م.